محاضرات مقياس الاستشراق

الأستاذة نعيمة رحماني

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة10

المنهج الاستشراقي – بعض النماذج–

(المنهج النّقدي التّفكيكي التّحليلي)

نبقى دائما في إطار تجزئة الدّين الإسلاميّ إلى جزئيات ومحاولة الاستشراقيّين ردّها إلى أصلها اليهوديّ أو المسيحيّ أو أيّ ديانة أخرى؛ حيث استعانوا بالإضافة إلى المنهج التّاريخي ومنهج الأثّر والتأثّر بالمنهج **النّقدي التّفكيكي التّحليلي؛** الّذي يعمد إلى تحليل الظّاهرة إلى مجموعة من المكوّنات والعناصر والجزئيّات، ثمّ التّأليف بينها بصورة غير متجانسة تؤدّي إلى قتل السّياق، الذي ينشده المستشرقون، ومن ثمّ حذف ما لا يخدم إيديولوجيّتهم؛ مع الحرص على ردّ كلّ فكرة إلى أصول سابقة عليها، بفعل تصوّر مسبق مرسّخ في أذهانهم ناجم من رواسبهم الثقافيّة مفاده أنّ الحضارة الإسلاميّة عقيمة، ومفكّروها عاجزون عن الإبداع.[1]

هذا التصوّر المسبق لدى المستشرقين قد أدّى إلى الحكم المسبق على التّراث الإسلاميّ بالجدب، وعلى الدّين بالجمود وعلى الشّعوب الإسلاميّة بالتخلّف.[2]

ومن هذا المنطلق فكّك المستشرقون الفلسفة الإسلاميّة إلى أجزاء، وقاموا بردّها إلى أصلها وهو في نظرهم الفلسفة اليونانيّة؛ وفي لحظة الردّ اعتبروها صورة مشوّهة عن مذهب أرسطو،

---

[1] عابد الجابري، الرّؤية الإستشراقيّة في الفلسفة الإسلاميّة، مقال ضمن استكتاب بعنوان مناهج المستشرقين، ج01، المنظمّة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، تونس، 1985م، ص325، ينظر أيضا أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، الدّولة العثمانيّة من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلاميّة، رسالة دكتوراه في التّاريخ الحديث، المملكة العربيّة السعوديّة، 2010م، ص24–25.

[2] محمّد قدّور تاج، مرجع سابق، ص181.

في إشارة منهم إلى عدم تطابق التصوّر الإسلاميّ مع التصوّر الأرسطي، وهو في حدّ ذاته اعتراف من قبلهم بالاختلاف؛ فالتصوّر الإسلاميّ للوجود ينتهي إلى وجود خالق يعتني بمخلوقاته، بينما التصوّر الأرسطي يرتّب الأشياء ويستدلّ على وجود صانع، ولكنّه لم يتصوّر تدخّلا إلاهيّا عُني بخلقها وتدبير أمورها.[3]

وهنا تظهر جليّا الفجوة بين الفلسفتين. وهكذا خلص جلّ المستشرقين من خلال تطبيق هذا المنهج إلى أنّ تعالم الدّين الإسلاميّ تتنافى مع البحث العلمي، وأنّ القرآن سجن لحريّة العقل وعقبة تمنع نهوض الفلسفة.[4]

ومن بين القضايا الإسلاميّة الّتي فكّكوها وحلّلوها إلى جزئيات، قضيّة المرأة المسلمة؛ فلم يدرسوا الوضع العامّ الّذي كفله لها الإسلام والذّي أدّى إلى رفع مكانتها؛ في حين أنّه في فترة الهجرة النبويّة عُقد مؤتمر بفرنسا عام 581 م[5]، اختلف أعضاؤه فيما إذا كانت المرأة إنسانا أم غير إنسان؛ وقد قرّر المؤتمر في الأخير أنّ المرأة إنسانة خُلقت لخدمة الرّجل. ففككوا قضيّتها إلى جزئيّة الحجاب وحدها، وجزئيّة الميراث وحدها، وجزئيّة المساواة وحدها، وجزئيّة تعدّد الزوجات، وغيرها من الجزئيّات الّتي حوّروها بحسب ايديولوجيتهم، فحكموا على وضع المرأة المسلمة وقارنوه بوضع المرأة الغربيّة وبثّوا فكرة المساواة بين الرّجل والمرأة في كلّ شيء. ويحضرنا هنا قول المستشرق الألماني **يوهان فوك** Yohan Fuck (1894م–1974م) الّذي انتقد هذا المنهج ذاكرا: "لا يمكن تقسيم القرآن إلى شذرات؛ كلّمة وسورة وقصة وآية، بحيث أصبح الكتاب وكأنّه فسيفساء."[6]

---

[3] عبد الرّشيد محمودي، أرسطو والإسلام، دت، مقال استخرج من الرّابط http://www.ahram.org.eg/News/ بتاريخ 2018/07/15 على 18سا و37د.

[4] عابد الجابري، مرجع سابق، ص313.

[5] محمود مهدي الإسطنبولي، تحفة العروس، ط 06، المكتب الإسلاميّ، 1986م، ص198.

[6] محمّد قدّور تاج، مرجع سابق، ص187.

ختاما ومن خلال عرضنا لبعض المناهج الّتي استعان بها جلّ المستشرقين في دراستهم لتاريخ وتراث الأمّة الإسلاميّة، نستشف أنّهم كانوا يتعاطون مع النصّوص الدّينيّة والمسائل الغيبيّة بنظرة مادية مُأدلَجة ساهمت في نشر المعلومات المزيّفة الّتي لازالت تتداول عبر الباحثين إلى يومنا هذا، ويحضرنا الآن قول الباحث محمّد محمود زقزوق الذي أكّد؛ "أنّ منطلق تفكيرهم بالنّسبة للإسلام، ونبيّه ﷺ يختلف عن المنطلق الّذي يصدر عنه تفكير المسلمين، ولهذا تختلف وجهات النّظر بيننا وبينهم وستظلّ مختلفة".[7]

نخلص إذا إلى أنّ المستشرقين قد طبّقوا مناهج مختلفة ومتعدّدة بغية دراسة التّراث الإسلاميّ، وكان جلّها في خدمة الأنساق الدينيّة، السلطويّة الاستعماريّة والمعرفيّة وحتّى النّسق العالميّ الرّاهن بالنّسبة للمستشرقين المعاصرين. فكانت الأحداث تُدرس بحسب مقارباتهم للمواضيع وأهدافهم؛ فاعتمدوا على المنهج التّاريخي ومنهج الأثّر والتأثّر، والمنهج النّقدي التّفكيكي التّحليلي، ومنهج المطابقة والمقابلة والمقارنة، والمناهج الألسنيّة (التّناص)، ومنهج الإرجاع، والمنهج التّشكيكي والافتراضي، والمنهج الانتقائي، والمنهج الاسقاطي أو العكسي، ومنهج البناء والهدم، برؤية شمولية علمانية مادية.

[7] محمّد محمود زقزوق، مرجع سابق، ص95.